اسلوب الاشتغال ووظيفته في اداء المعنى

الدكتور فاضل صالح
استاذ مساعد بقسم اللغة العربية

الخلاصة

ينظر النحاة الى الاستغال على انه مفعول به حذف فعله وجوبا وانه ظاهرة لفظية لا يذكرون ان لها علاقة بالمعنى . وقد ذهب البيانيون الى ان اسلوب الاشتغال يفيد توكيداً أو تخصيصا حسب تقدير العامل المحذوف .

وهذا البحث تقويم لدراسة النحاة وتقويم لدراسة البيانيين في هذا الباب ويتضح منه ان الاشتغال اسلوب معين له وظيفة معينة في اداء المعنى تختلف عن مهمة المفعول به وتختلف عما ذهب اليه البيانيون .

كما يتضح منه ان هناك فرقا في المعنى بين الرفع والنصب فأن قولك (خالداً اكرمته) يختلف عن قولك (خالدٌ اكرمته) في المعنى وعلى هذا فترجيح النحاة وجها على وجه من دون نظر الى المعنى ترجيح باطل لا يقوم على اساس . وانما يكون الكلام حسب القصد والمعنى .

وهذا البحث معالجة لهذا الاسلوب من نواحيه المختلفة وبيان وظيفته في اداء المعنى .

معنـاه :

الاشتغال عند النحاة هو كل اسم بعده فعل أو ما يشبه الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول اشتغل عنه بضميره أو بمتعلقه • لو سلط عليه هو او مناسبه لنصبه (١) •

ومعنى ذلك ان يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل او اسم فاعل او نحوهما فينصب ذلك الفعل ضميره ولو لم يشتغل بضميره لنصبه نحو (خالدا اكرمته) و (خالدا انا مكرمه) • فالفعل (اكرم) نصب ضمير خالد ، واسم الفاعل اشتغل بضمير خالد ولو لم يكن هذا الضمير موجودا لنصبا الاسم التقدم •

والاشتغال له صور منها ما ذكرت ومنها ان يشتغل بمتعلقه نحو (خالدا اكرمت اخاه) (وسعيدا ضربت صديقه)

وقد يكون الفعل يصح تسلطه على الاسم المتقدم بنفسه كما ذكرت • وقد يكون لا يصح تسلطه عليه بنفسه نحو (خالدا سلمت عليه) و (اخاك مررت به) وكقوله تعالى (والظالمين اعدّ لهم عذابا اليما) فـ (أعدّ) متسلط على (عذاب) ولا يصح ان يتسلط على (الظالمين) بنفسه هنا •

ولا بد في الاشتغال من ضمير يعود على الاسم المتقدم كما رأيت • وهذا الضمير قد يكون منصوبا بالفعل المتقدم نحو (خالدا اكرمته) وقد يكون مجرورا بحرف جر نحو (خالدا سلمت عليه) ونحو قوله تعالى (والظالمين اعدّ لهم عذابا اليما) وقد يكون مضافا اليه نحو (خالدا اكرمت اخاه) •

وهناك صور اخرى وكلها تجتمع في عود الضمير على الاسم المتقدم(٢) •

ناصبـه :

اختلفت النحويون في ناصب الاسم المشغول عنه فذهب جمهور

النحويين البصريين الى ان ناصبه فعل مضمر وجوبا مماثل للفعل المذكور في نحو (خالدا اكرمته) أي اكرمت خالدا اكرمته ، ويناسبه في المعنى في نحو (خالدا سلمت عليه) والتقدير حييت خالدا سلمت عليه ، و (خالدا ضربت اخاه) والتقدير أهنت خالدا ضربت اخاه .

قال سيبويه : « وان شئت قلت : « زيدا ضربته » وانما نصبه على اضمار فعل هذا تفسيره كأنك قلت : ضربت زيدا ضربته الا انهم لايظهرون هذا الفعل استغناء بتفسيره . فالاسم ههنا مبني على هذا المضمر .

فان قلت : « زيد مررت به » فهو من النصب ابعد ... وان شئت قلت : « زيدا مررت به » تريد أن تفسر له مضمرا كانك قلت اذا مثلت جعلت زيدا على طريقي مررت به ... واذا قلت : « زيد" لقيت اخاه » فهو كذلك وان شئت نصبت لانه اذا وقع على شيء من سببه فكأنه قد وقع به . والدليل على ذلك ان الرجل يقول : اهنت زيدا باهانتك اخاه واكرمته باكرامك اخاه »(٣) .

وذهب الكسائي الى ان نصب الاسم المتقدم بالفعل المتأخر وان الضمير ملغى ، وذهب الفراء الى ان الاسم والضمير منصوبان بالفعل المذكور لانهما في المعنى لشيء واحد . ويرد عليهما نحو (سعيدا مررت به) فان الفعل (مر) لا يصح ان ينصب الاسم المتقدم كما لا يصح ان يلغى الضمير المجرور لان الفعل لا يتعدى اليه الا بالحرف ، ونحو (زيدا هدمت داره) و (خالدا خطت له قميصا) فانه لا يصح تسلط الفعل على الاسم المنصوب قبله(٤) .

وهذا التقدير دعت اليه صنعة الاعراب لان كل منصوب لابد له من ناصب عند النحاة ولما لم يجدوا ناصبا للاسم المتقدم اضطروا الى التقدير .

ان التقدير الذي ذهب اليه النحاة في هذا الباب مفسد للمعنى مفسد للجملة فأن الجملة تتمزق وتنحل بتقديرنا (اكرمت خالدا اكرمته) و (سررت خالدا أحببت رجلا يحبه) وبنحو ذلك من التقديرات .

وما ذهب اليه الفراء مقبول في نحو (خالدا أكرمته) غير مقبول في نحو (خالدا سلمت عليه) و (محمدا خطت له قميصا) .

فتقدير الجمهور متمشٍّ مع الصنعة الاعرابية الا انه مفسد للمعنى مفسد للجملة وما ذهب اليه الفراء والكسائي مفسد للصنعة الاعرابية ولا يستقيم في كثير من التعبيرات .

ونحن هنا لا تعنينا تقديرات النحاة واختلافاتها وانما الذي يعنينا هو المعنى وانما ذكرت هذه التقديرات لانها تترتب عليها امور ذات علاقة بالمعنى كما سنرى . وحقيقة الامر فيما نرى انه ليس هناك اشتغال ولا مشغول عنه بهذا المعنى وانما هو اسلوب خاص يؤدي غرضا معينا في اللغة ومما يدل على ذلك قولهم (محمدا سلمت عليه) و (خالدا اكرمت أخاه) و (سعيدا انطلقت مع اخيه) فأي اشتغال في هذا ؟ وهل يمكن تسليط الفعل على الاسم المنصوب المتقدم فأن الفعل قد يكون لازما كما نرى ؟

واما على رأي الكسائي والفراء فليس ثمة اشتغال اصلا . واذا كنا نرغب في الابقاء على اصطلاح الاشتغال والمشغول عنه فانا نقصد به معنى اخر سنذكره لاما ذكره القوم .

اما فيما يخص الاعراب فأنه يمكن ان يعرب الاسم المتقدم مشغولا عنه منصوبا ولا داعي لان نذكر له ناصبا لان تقدير الناصب مبني على نظرية العامل التي لا موجب لها . فانه يمكن ان يقال ان الفاعل في العربية مرفوع والمفعول به منصوب والمبتدأ مرفوع والمشغول عنه منصوب وهكذا ولا داعي للسؤال عن العامل الذي احدث هذا واذا كان لابد من الجواب فالعرب هم الذين فعلوا هذا واحدثوه وهذا بيّن .

اقسامه :

يذكر النحاة في هذا الباب خمسة اقسام :

١ — ما يجب فيه النصب

٢ ـ ما يجب فيه الرفع
٣ ـ ما يجوز فيه الامران والرفع أرجح
٤ ـ ما يجوز فيه الامران والنصب أرجح
٥ ـ ما يجوز فيه الامران على السواء(٥)

اما ما يجب فيه الرفع فليس من باب الاشتغال لانه لم ينطبق عليه معنى الاشتغال وذلك انهم قالوا انه لو فرغ الفعل من الضمير لنصب الاسم وذلك ممتنع في وجوب الرفع نحو (خرجت واذا اخوك يضربه خالد)(٦) ٠

واما مسألة وجوب النصب فالامر فيها كما ذكر النحاة ٠

واما مسألة جواز الامرين مع الترجيح او بدون ترجيح ففيها نظر فيما نرى وذلك اننا نعتقد ان لكل وجه معنى لا يؤديه الوجه الاخر فمعنى النصب غير معنى الرفع فأن اردت معنى معينا وجب عليك ان تقول تعبيرا معينا ٠

انه يصح ان تقول : « محمدٌ اكرمته » كما يصح ان تقول : « محمدا اكرمته » ولكن هل هما بمعنى واحد ؟ هذا ما لا تتصوره ٠ ان (محمدا) في قولك (محمدا أكرمته) فضلة و (محمد) في محمدٌ اكرمته) عمدة فهل تكون الفضلة كالعمدة ؟ كيف يمكن ان يكون ذلك ؟

انه كان المأمول ان يقول النحاة : ورد عن العرب قولهم (محمدٌ أكرمته) وهو بمعنى كذا و (محمدا أكرمته) وهو بمعنى كذا فأن اردت المعنى الفلاني تعين الرفع وان اردت المعنى الاخر تعين النصب وكل ترجيح من دون نظر الى المعنى ترجيح باطل لا يقوم على اساس ٠

ولذلك ينبغي ان نعالج موضوع الاشتغال على غير الشاكلة التي عالجها النحاة ٠

هل يفيد الاشتغال تخصيصا أو توكيدا ؟

ذهب البيانيون الى ان الاشتغال قد يفيد تخصيصا أو توكيدا وذلك بحسب تقدير الفعل المحذوف ٠ فاذا قدرنا الفعل المجذوف بعد

الاسم المنصوب افاد تخصيصا واذا قدرنا الفعل المحذوف قبل الاسم المنصوب افاد توكيدا وذلك نحو قولك (محمدا أكرمته) فان قدرت (محمدا اكرمت اكرمته) افاد تخصيصا لان المفعول اذا تقدم على فعله افاد تخصيصا وان قدرت (اكرمت محمدا أكرمته) افاد توكيدا وذلك لتكرير اللفظ جاء في (الايضاح) : « وأما نحو قولك (زيدا عرفته) فأن قدر المفسّر المحذوف قبل المنصوب أي عرفت زيدا عرفته فهو من باب التوكيد اعني تكرير اللفظ . وان قدر بعده أي زيدا عرفت عرفته افاد التخصيص » (٧) .

وجاء في (شرح المختصر للتفتازاني) : « واما نحو زيدا عرفته فتأكيد ان قدر المحذوف المفسر بالفعل المذكور قبل المنصوب أي عرفت زيدا عرفته . والا أي وان لم يقدر المفسر قبل المنصوب بل بعده فتخصيص أي زيدا عرفت عرفته لان المحذوف المقدر كالمذكور فالتقديم عليه كالتقديم على المذكور ... فنحو (زيدا عرفته) محتمل للمعنيين : التخصيص والتأكيد . فالرجوع في التعيين الى القرائن وعند قيام القرينة على انه للتخصيص يكون اوكد من قولنا (زيدا عرفت) لما فيه من التكرار »(٨) .

وذهب النحويون الى انه يجب تقدير المفسر قبل الاسم المنصوب جاء في (المغني) : « فيجب ان يقدر المفسر في نحو (زيدا رأيته) مقدما عليه . وجوز البيانيون تقديره مؤخرا عنه وقالوا لانه يفيد الاختصاص حينئذ وليس كما توهموا »(٩) .

وجاء في (التصريح) : « وجميع ما يقدر في هذا الباب يقدر متقدما على الاسم المنصوب الا ان يمنع مانع من حصر أو غيره فيقدر متأخرا عنه »(١٠) . فلا يفيد تخصيصا عند النحاة .

ومقتضى قول الكسائي والفراء أنه يفيد تخصيصا لان الاسم المنصوب منصوب بالفعل المتأخر عندهما . وتقديم المفعول يفيد الاختصاص غالبا .

والذي أراه في هذا الباب ان الاشتغال لا يفيد تخصيصا ولا توكيدا وانما هو اسلوب خاص يؤدي غرضا معينا لأنه ليس معنى (خالدا أكرمت) كمعنى (خالدا أكرمته) ولا معنى (على محمد سلمت) كمعنى (محمدا سلمت عليه) . فمعنى (خالدا أكرمت) خصصته بالاكرام واما (خالدا أكرمته) فتفيد اكرام خالد لا تخصيصه بالاكرام وقد قدمته للعناية وكذلك قولك (على محمد سلمت) و (ومحمدا سلمت عليه) فالاولى تفيد التخصيص بخلاف الثانية فانك قدمت الاسم للاهتمام به . وأيّ تخصيص في نحو قولك (محمدا رأيت رجلا يحبه) و (خالدا أهنت اخاه) وهل في قوله تعالى (والانعامَ خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) وقوله (ولوطا آتيناه حكما وعلما) تخصيص ؟

وأي دليل على ان الفعل متأخر عن الاسم وهو لم يظهر البتة ؟!

وهو لا يفيد توكيدا ايضا اذ لو كان توكيدا لجاز ذكره بل لوجب ذكره عند قسم من النحاة لان الحذف ينافي التوكيد . فلا مانع في التوكيد من ان تقول (اكرمت محمدا أكرمت محمدا) و (اكرمت محمدا أكرمته) فتعيد الضمير على الاسم المتقدم . ان الاشتغال تعبير خاص واسلوب معين له غرض معين كما ذكرت .

الفرق بين الرفع والنصب :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ — تقول (خالدا أكرمته) و (خالدٌ اكرمته) فما الفرق بين التعبيرين ؟ قال تعالى (والانعامَ خلقها لكم فيها دفء) بالنصب . وقال (والشعراءُ يتبعهم الغاوون) بالرفع . ما وجه الاختلاف بينهما ؟ انه يصح من حيث التركيب النحوي ان تقال كل جملة من الجمل التي ذكرناها بالرفع والنصب ولكن هل تكون بمعنى واحد ؟

لقد ذكرنا رأي النحاة في ذلك وذكرنا ان عندهم ترجيحات لا تقوم على اساس فما حقيقة هذا الامر ؟

من الواضح ان المتحدث عنه في نحو قولك (محمدٌ اكرمته) هو محمد وفي (محمدا أكرمته) هو المتكلم وكذلك في نحو قولك (زيدٌ سلمت عليه) الاخبار فيه عن زيد وفي

(زيدا سلمت عليه) الاخبار عن المتكلم • جاء في (الايضاح) « قال ابو العباس : الفرق بين (ضربت زيدا) و (زيد ضربته) انك اذا قلت (ضربت زيدا) فانما أردت ان تخبر عن نفسك وتثبت اين وقع فعلك ، واذا قلت (زيد" ضربته) فانما اردت أن تخبر عن زيد »(١١) • ولكنك قدمت (زيدا) في المنصوب للاهتمام به والحديث عنه غير انه حديث لا يرقى به الى درجة العمدة •

وبتعبير آخر انت قدمت المنصوب في الاشتغال للحديث عنه بدرجة اقل من المبتدأ لان المبتدأ متحدث عنه، والحديث يدور عليه اساسا بخلاف المشغول عنه فأن الحديث يدور على غيره اساسا • فالفرق بين قولنا (محمدا أكرمته) و (محمد" أكرمته) انك بالرفع جعلت مدار الحديث محمدا وجعلت اخبارك عنه وهو مدار الاهتمام • اما الاولى فقد قدمت فيها محمدا للاهتمام قدمته لتتحدث عنه بدرجة اقل من العمدة فأن الاخبار عن المتكلم ولكن قد يقتضي السياق ان تخص (محمدا) بحديث واما (محمدا أكرمت) فللاختصاص • ونحوه (محمد" سلمت عليه) و (محمدا سلمت عليه) ففي الاولى المتحدث عنه محمد والجملة الصغرى اخبار عنه واما في الثانية فقد قدمته للاهتمام به والحديث عنه وجئت بالضمير لارادة الاخبار عنه بصورة ثانوية وانما الحديث على المتكلم •

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ان المشغول عنه على صورة المبتدأ من حيث ارادة الحديث عنه ولذا لابد له في الجملة المتأخرة عنه من ضمير يربطها بالاسم المتقدم كالمبتدأ الذي لابد له من رابط يربط جملة الخبر به ليصح الحديث عنه ولكن الفرق بينهما ان الحديث في الابتداء يدور اساسا عن المبتدأ بخلاف الاشتغال الذي يدور الحديث فيه عن شيئين امر اساسي وهو المسند اليه وامر دونه وهو المنصوب المتقدم •

وبهذا نستطيع ان نقول ان الاشتغال مرحلة دون المبتدأ وفوق المفعول اذ هو متحدث عنه من جهة لكنه لا يرقى الى درجة المبتدأ •

فيكون معنى الاشتغال على هذا انه انما جيء بالاسم المنصوب المتقدم لارادة الحديث عنه ثم اشتغل عنه بالحديث عن المسند اليه •

واليك مثالا يوضح الفرق بين المشغول عنه والمبتدأ • ان المبتدأ كما ذكرنا هو المتحدث عنه اما في باب الاشتغال فالمسند اليه هو المتحدث عنه وقدم المشغول للتحدث عنه بصورة ثانوية لا كالمبتدأ تقول :

(الظالمُ يكرهه الناس ويحتقرونه في انفسهم ثقيلٌ عليهم مبغّض الى قلوبهم اما العادل فان الناس يحبونه ويحترمونه) فأنت تلاحظ ان الكلام على الظالم فرفعته وتقول :

(الا ترى الى ربك وعقابه وانه اذا امهل فانه لا يهمل عاقب الكافر الكافرَ والظالمَ اهلكه والمستبدَ اذله وقهره والباطلَ ازاله) فان الكلام على الله سبحانه وقدم ما قدم للاهتمام فنصب الظالم والمستعبد والباطل • وهذا وجه الكلام •

ولو نظرنا الى الاستعمال القرآني لوجدنا مصداق ما ذكرناه • قال تعالى (والارضَ مددناها والقينا فيها رواسي) وبالنصب ولو رجعنا الى السياق لوضح السبب واليك السياق : « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين • وحفظناها من كل شيطان رجيم • الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين • والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون • وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين • الحجر ١٦ ــ ٢٠ » فالكلام انما هو على الله الذي جعل في السماء بروجا وزينها ومد الارض والقى فيها رواسي وانبت فيها من كل شيء وجعل فيها المعايش • فالكلام ــ كما ترى ــ على الله تعالى لا على الارض ولكن قدم الارض للاهتمام بها من بين ما ذكر والحديث عنها من بين ما تقدم فقال (والارض مددناها ... الخ) فانه ــ وان كان الكلام في الاصل يدور حول الله تعالى وقدرته ــ خص الارض بالاهتمام فقدمها والكلام فيما قبل وبعد على الله تعالى واليك مثالا آخر قال تعالى (والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم ــ الحجر ٢٧) بالنصب فلم لم يرفع ؟

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ان السياق يوضح ذلك • ان الكلام على الله تعالى وهو في سياق الآيات التي سردناها انفا قال تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون • والجانَّ خلقناه من قبل من نار السموم • واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون • فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين • فسجد الملائكة كلهم اجمعون • الا ابليس أبى ان يكون مع الساجدين • قال ابليس مالك الا تكون مع الساجدين • قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون • قال فاخرج منها فانك رجيم • وان عليك اللعنة الى يوم الدين • قال ربّ فأنظرني الى يوم يبعثون • قال فانك من المنظرين • الى يوم الوقت المعلوم • قال رب بما اغويتني لازيننّ لهم في الارض ولا غوينّهم اجمعين • الا عبادك منهم المخلصين • قال هذا صراط عليّ مستقيم • ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ــ الحجر ٢٦ ــ ٤٢ » •

فالكلام على الله تعالى وخلقه لكنه اراد ان يفرد الجان بحديث عنه فقدمه واعاد عليه الضمير للكلام عليه • فأنت ترى انه قدم الارض في الايات الاولى لان الحديث عليها اهم ، وقدم الجان لان القصد يتعلق بذكرهم •

واليك مثالا اخر ، قال تعالى : (والانعامَ خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ــ النحل ٥) فانه نصب (الانعام) ولم يرفعها والسياق يوضح ذلك قال تعالى : « خلق السماوات والارض بالحق تعالى عما يشركون • خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين • والانعامَ خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون • ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون • وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم • والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ــ النحل ٣ ــ ٨ » فأنت ترى ان

الكلام على الله ولكنه قدم الانعام للاهتمام بها والحديث عنها من بين ما ذكره .

فقد ذكر خلق السماوات والارض والانسان والانعام والخيل والبغال والحمير ولكن اكثر الحديث في هذه الايات عن الانعام فقدمها للحديث عنها والاهتمام بها هنا .

وقال تعالى (وكلَّ انسان الزمناه طائره في عنقه ـ الاسراء ـ ١٣) فنصب (كلا) ولم يرفعها وذلك لان الكلام انما هو على الله وقدم (كل انسان) للاهتمام وهذا سياق الايات يوضح ذلك قال تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين .. وكلَّ انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ـ الاسراء ١٢ ، ١٣) في حين قال : « الزانيةُ والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين . الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لاينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ـ النور ٢ـ٣» فرفع لان الكلام على الزاني والزانية . ومثله قوله تعالى (والسارقُ والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ٣٨) لان الكلام عليهما .

وقال : (والشعراءُ يتبعهم الغاوون ـ الشعراء ٢٢٤) برفع (الشعراء) لان الكلام عليهم ولو نصب لكان الكلام على الغاوين والسباق يوضح ذلك قال تعالى « والشعراءُ يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وانهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ الشعراء ٢٢٤ ـ ٢٢٧) .

وقال تعالى (والسماءَ رفعها ووضع الميزان ـ الرحمن ٧) فنصب السماء لان الكلام على الله تعالى فبدأ السورة بقوله (الرحمن علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان . الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع المميزان الاّ تطغوا في الميزان،

واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان •

والارضَ وضعها للانام • فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام • والحب ذو العصف والريحان ــ الرحمن ١ ــ ١٢ » فالكلام على الله الرحمن الخالق لا على السماء والارض ولكن قدمهما للاهتمام بهما •

وقال تعالى (والظالمين اعدّ لهم عذابا اليما) فنصب لان الكلام على الله تعالى المجازي المحسن بالاحسان والمسيء بالاساءة قال تعالى: « نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا • ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا • وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما • يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعدّ لهم عذابا اليما ــ الانسان ٢٨ ــ ٣١ » •

وقال : (والارضَ بعد ذلك دحاها) بالنصب لان الكلام على الله قال تعالى : « أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها • رفع سمكها فسواها • واغطش ليلها واخرج ضحاها • والارضَ بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبالَ أرساها متاعا لكم ولانعامكم ــ النازعات ٢٧ــ٣٢ » فالكلام على الله ونعمه من خلق السماء ودحو الارض واخراج الماء والمرعى وارساء الجبال •

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

واظن انه اتضح الفرق بين المشغول عنه والمبتدأ اتضاحا لا غموض فيه •

٢ ــ وينصب الاسم اذا خيف في الرفع ان يلتبس الفعل بالصفة وذلك نحو قوله تعالى (انا كلَّ شيء خلقناه بقدر) قال السيرافي ما ملخصه : « فان قال قائل : قد زعمتم ان نحو : (اني زيد كلمته) الاختيار فيه الرفع لانه جملة في موضع الخبر ، فلم اخترتم النصب في (انا كل شيء خلقناه بقدر) وكلام الله تعالى اولى بالاختيار ؟ فالجواب ان في النصب ههنا دلالة على معنى ليس في الرفع ، فان التقدير على النصب انا خلقنا كل شيء بقدر • فهو يوجب العموم ، واذا رفع فليس فيه عموم اذ يجوز ان يكون (خلقناه) نعتا لـ (شيء) و (بقدر) خبرا

لكل ، ولا يكون فيه دلالة على خلق الاشياء كلها بل انما يدل على ان ما خلقه منها خلقه بقدر»[١٢] .

وايضاح ذلك ان رفع (كل) يدل على معنيين اما ان يكون (خلقناه) خبرا عن (كل) فيكون المعنى انا خلقنا كل شيء بقدر واما ان يكون (خلقناه) صفة لكل والخبر (بقدر) فيكون المعنى : كل شيء مخلوق لنا مخلوق بقدر ومقتضى ذلك ان هناك خالقا مع الله سبحانه وتعالى فما خلقه الله خلقه بقدر وما خلقه غيره قد يكون ليس مخلوقا بقدر تعالى الله عن ذلك .

ونحوه ان تقول : (كل رجل اكرمته هنا) فبالنصب يكون المعنى : اكرمت كل رجل هنا ، وبالرفع له معنيان اما ان يكون كمعنى النصب والخبر (اكرمته) واما ان يكون المعنى كل رجل مكرم من قبلي هنا . فالخبر (هنا) و (اكرمته) نعت أي قد يكون في المكان رجال لم تكرمهم ولكن كل من اكرمتهم هنا .

قال الرضي : « اذا اردت مثلا ان تخبر أن كل واحد من مماليكك اشتريته بعشرين دينارا وانك لم تملك احدا منهم الا بشرائك بهذا الثمن فقلت (كلَّ واحد من مماليكي اشتريته بعشرين دينارا) بنصب (كل) فهو نص في المعنى المقصود لان التقدير اشتريت كل واحد من مماليكي بعشرين .

واما ان رفعت (كل) فيحتمل ان يكون (اشتريته) خبرا له فقولك (بعشرين) متعلقا به أي كل واحد منهم مشترى بعشرين وهو المعنى المقصود . ويحتمل ان يكون (اشتريته) صفة (لكل واحد) وقولك (بعشرين) هو الخبر أي كل من اشتريته من المماليك فهو بعشرين . فالمبتدأ اذن على التقدير الاول اعم لان قولك : (كل واحد من مماليكي) أعم من اشتريته ومن اشترى لك ومن حصل لك منهم بغير المشترى من وجوه التملكات . والمبتدأ على الثاني لا يقع الا على من اشتريته انت . فرفعه اذن مطرق لاحتمال الوجه الثاني الذي

هو غير مقصود ومخالف للوجه الاول ، اذ ربما يكون لك على الوجه الثاني منهم من اشتراه لك غيرك بعشرين او باقل منها او باكثر وربما يكون ايضا لك منهم جماعة بالهبة والوراثة او غير ذلك ، وكل هذا خلاف مقصودك فالنصب اذن أولى لكونه نصّا في المعنى المقصود والرفع محتمل له ولغيره » (١٣) .

فالامر بحسب المعنى فاذا اردت التنصيص على ان الفعل ليس صفة نصبت المتقدم واذا اردت الاحتمال رفعت ، كما انه اذا اردت التنصص على ان الفعل صفة رفعت الاسم المتقدم وذلك كقوله تعالى (وكلُّ شيء فعلوه في الزبر) جاء في (معاني القرآن) : (واما قوله (كلُّ شيء فعلوه في الزبر) فلا يكون الا رفعا لان المعنى والله اعلم كل فعلهم في الزبر مكتوب فهو مرفوع بفي (١٤) و (فعلوه) صلة لشيء ، ولو كانت (في) صلة لفعلوه في مثل هذا الكلام جاز رفع كل ونصبها كما تقول : وكل رجل ضربوه في الدار ، فأن اردت ضربوا كل رجل في الدار رفعت ونصبت ، وان اردت وكل من ضربوه هو في الدار رفعت (١٥) » وايضاح ذلك ان المعنى لا يحتمل النصب لانه في النصب يكون المعنى (فعلوا كل شيء في الزبر) والمعنى ليس عليه وانما المعنى ان ما فعلوه مثبت في الزبر فـ (فعلوه) صفة لشيء و (في الزبر) خبر والمعنى ان الشيء الذي فعلوه هو مثبت في الزبر والنصب لا يؤدي هذا المعنى .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وهذا القسم عند النحاة مما يترجح فيه النصب على الرفع (١٦) والصواب ان هذا القسم ليس مما يترجح فيه النصب على الرفع وانما هو بحسب القصد فاذا اردت التنصيص على ان الفعل ليس صفة نصبت وجوبا كما مر في قوله تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) ونحوه من الامثلة ، وان اردت التنصيص على انه صفة رفعت وجوبا وكذلك اذا اردت احتمال الوجهين رفعت فهو ليس من باب الجواز وانما هو من باب الوجوب بحسب المعنى .

٣ ــ وقال قسم من النحاة انه يختار الرفع في الاسم المنظور فيه

الى العموم نحو قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وقوله (السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) لشبهه بالشرط في العموم والابهام • ويختار النصب في الاسم المنظور فيه الى الخصوص بالامر كزيدا اضربه لعدم مشابهته للشرط(١٧) •

جاء في (معاني القرآن) : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما مرفوعان بما عاد من ذكرهما والنصب فيهما جائز كما يجوز (ازيدٌ ضربته) وانما تختار العرب الرفع في (السارق والسارقة) لانهما غير موقتين فوجها توجيه الجزاء كقولك من سرق فاقطعوا يده فـ (من) لا يكون الا رفعا ولو اردت سارقا بعينه او سارقة بعينها كان النصب وجه الكلام »(١٨) •

وجاء في (التفسير الكبير) للرازي : « اختيار الفراء ان الرفع اولى من النصب لان الالف واللام في قوله (والسارق والسارقة) يقومان مقام (الذي) فصار التقدير : الذي سرق فاقطعوا يده • وعلى هذا التقدير حسن ادخال حرف الفاء على الخبر لانه صار جزاء • وايضا النصب انما يحسن اذا رادت سارقا بعينه او سارقة بعينها • فاما اذا اردت توجيه هذا الجزاء على كل من اتى بهذا الفعل فالرفع اولى • وهذا القول هو الذي اختاره الزجاج وهو المعتمد »(١٩) •

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وايضاح ذلك ان الاسم المرفوع هنا اشبه الشرط في العموم بدليل وقوع الفاء في خبره • وعند قسم من النحاة لا يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها ولا يفسر عاملا في الاشتغال(٢٠) وعند بعضهم انه لا يعمل الجواب في الشرط(٢١) • فاذا اردت به التعيين جئت به منصوبا فالسارق في النصب معلوم أي من قد سرق في حين ان الرفع يدل على شبهه بالشرط فهو سار على كل سارق •

وعلى مقتضى هذا ينبغي ان تقول (الضيفَ اكرمه) بالنصب اذا كان الضيف معينا و (الضيفُ اكرمه) بالرفع اذا كان الضيف غير معين أي لا يراد به ضيف مخصوص ، وان نقول (العالمَ احترمه) اذا كان

عالما معينا من بين العلماء و (العالمُ احترمه) اذا لم يكن عالما معينا بل كل من اتسم بسمة العلم •

واری ان في هذا نظرا فانه يصح ان تقول بالرفع والنصب للمعلوم وغير المعلوم فانك تقول (اكرم الضيف) سواء كان ضيفا معينا أم غير معين فقد يكون القول للتعليم والتوجيه • ونحوه (احترم العالم) وهذا هو تقدير الاشتغال عند النحاة اكرم الضيف اكرمه واحترم العالم احترمه •

وانما الامر كما سبق ان اسلفنا في القاعدة العامة في الفرق بين الاشتغال والابتداء اذا اردت الاخبار عن الاسم المتقدم والاسناد اليه رفعت وان لم ترد نصبت وقدمته للاهتمام •

واما الآيتان فقد ذكرت الامر فيهما وهو ارادة الاخبار عن الاسمين المرفوعين والله اعلم • واما تعين العموم فبسبب الفاء الواقعة في الخبر لانها اشبهت فاء الجزاء والجزاء يراد به العموم وهو نظير قولك (الفائز فأعطه جائزة) والمعنى من يفز فاعطه جائزة • و (الفائز اعطه جائزة) وهو على معنيين اما ان يكون كمعنى الاولى واما ان تقصد به فائزا معينا والفاء عينت قصد العموم •

ونحوه ان تقول :

الذي يدخل الدار فله مكافأة

والذي يدخل الدار له مكافأة

فبوجود الفاء تترتب المكافأة على دخول الدار أي من يدخل الدار فله مكافأة فسبب المكافأة دخول الدار فأشبه الموصول الشرط واريد به العموم •

وبغير الفاء تكون الجملة ذات احتمالين اما ان تكون كمعنى الاولى واما ان لا تترتب المكافأة على دخول الدار وانما هي لذات الداخل فكأنك قلت انظر الى ذلك الذي يدخل الدار ان له مكافأة • فلم يُعطَ المكافأة بسبب دخول وانما اردت ان تعرفه للمخاطب بالصلة كما تقول (الذي يمشي رسب) فالرسوب لم يترتب على المشي ولا بسببه • فالذي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عين قصد العموم هو القاء وليس الرفع . ولو كان حق العام الرفع وحق الخاص النصب لكان الراجح في قولة تعالى (والانعام خلقها) الرفع لانها ليست انعاما خاصة بل هي عموم الانعام ونحوه قوله تعالى (وكل شيء فصلناه تفصيلا) وقوله (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه) وقوله (والظالمين اعدّ لهم عذابا اليما) وقوله (والجبالَ ارساها) فقد وردت كلها بالنصب وهي كلها للعموم .

وكان ينبغي النصب في قوله تعالى (النارُ وعدها الله الذين كفروا) وقوله (جناتُ عدن يدخلونها) وقد وردتا بالرفع وهما معلومتان . وانما الامر كما سبق ان ذكرت والله اعلم .

---

(١) الرضي ١/١٧٥ ، ابن عقيل ١/١٧٣ ، التصريح ١/٢٩٦ ، الاشموني ٢/٨٣ـ٨٤ ، حاشية الخضرى ١/١٧٧ .

(٢) انظر التصريح ١/٣٠٦ .

(٣) سيبويه ١/٤٢ـ٤٣ ، وانظر ابن عقيل ١/١٧٣ ، حاشية الخضرى ١/١٧٣ـ١٧٤ التصريح ١/٣٠٧ ، الاشموني ٢/٧٣ ، الرضي ١/١٧٦ .

(٤) انظر التصريح ١/٢٩٧ ، الهع ٢/١١٤ ، ابن عقيل ١/١٧٣ـ١٧٤ ، حاشية الخضرى ١/١٧٤ .

(٥) انظر ابن عقيل ١/١٧٤ ، الاشموني ٢/٧٣ـ٧٥ .

(٦) التصريح ١/٣٠٣ .

(٧) الايضاح ١/١١٠ـ١١١ .

(٨) شرح المختصر ٧٦ .

(٩) المغني ٢/٦١٣ وانظر معترك الأقران ١/٣١٦ ، الهع ٢/١١٤ .

(١٠) التصريح ١/٣٠٧ وانظر المغني ٢/٦١٣ وحاشية يس على التصريح ١ /٣٠٧ لتوضيح الموانع .

(١١) الايضاح في علل النحو ١٣٦ـ١٣٧ .

(١٢) شرح ابي سعيد السيرافي بهامش كتاب سيبويه ١/٧٤ وانظر التصريح ١/٣٠٢ ، الاشموني ٢/٨٠ الهمع ١/١١٣ .

(١٣) الرضى ١/١٨٩ .

(١٤) هذا على مذهب الكوفيين الذين يقولون انّ المبتدأ يرفعه الخبر والخبر يرفعه المبتدأ .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١٥) معاني القرآن ٢/٩٥ـ٩٦ ·
(١٦) التصريح ١/٣٠٢ ، الهمع ١/١١٣ ، الاشموني ٢/٨٠ ·
(١٧) التصريح ١/٢٩٩ ·
(١٨) معاني القرآن ١/٣٠٦ ، ١/٢٤٢ ·
(١٩) التفسير الكبير ١٠/٢٢٣ ·
(٢٠) حاشيه الصبان ٢/٨٤ـ٨٥ ·
(٢١) حاشية الصبان ٢/٧٧ ·

مراجـــع البحث

١ ـ الايضاح في علل النحو لابي القاسم الزجاجي ـ تحقيق مازن المبارك ـ نشر مكتبة العروبة القاهرة ·
٢ ـ الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ـ تحقيق لجنة من اساتذة الازهر ـ مطبعة السنة المحمدية ·
٣ ـ التفسير الكبير لفخر الدين الرازى ·
٤ ـ حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ـ مطبعة دار احياء الكتب العربية ·
٥ ـ حاشية الصبان على شرح الاشموني ـ دار احياء الكتب العربية ·
٦ ـ حاشية يس على شرح التصريح ـ دار احياء الكتب العربية ·
٧ ـ شرح الاشموني على الفية ابن مالك ـ دار احياء الكتب العربية ·
٨ ـ شرح ابن عقيل ـ دار احياء الكتب العربية ·
٩ ـ شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الازهرى ـ دار احياء الكتب العربية ·
١٠ـ شرح الكافية لرضى الدين الاسترابادى ·
١١ـ شرح المختصر للتفتازاني ·
١٢ـ كتاب سيبويه اوفست مكتبة المثنى ـ مصور عن طبعة بولاق ·
١٣ـ معاني القرآن للفراء ـ القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م ·
١٤ـ معترك الاقران في اعجاز القرآن للسيوطي ـ تحقيق محمد علي البجاوى ·
١٥ـ مغني اللبيب لابن هشام تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ·
١٦ـ همع الهوامع لجلال الدين السيوطي ط ١ / سنة ١٣٢٧ هـ مطبعة السعادة بمصر ·